+ قداس اثنين الفصح

عظة إثنين الباعوث

صباح الإثنين ١ أيار ترأس سيادة راعي الابرشية المتروبوليت الياس خدمة قداس اثنين الباعوث في كينسة القديس نقولاوس في الأشرفية وألقى بعد قراءة الإنجيل المقدس العظة التالية :

المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور.

يا أحبة، عمل المسيحي أن يبشّر بالقيامة. عمله الأساسي أن ينقل الخبر السار، الEvangelion، ولب الإنجيل هو القيامة لأنه لو لم يقم الرب فلا عمل لنا ولا نستطيع أن نقدّم خبراً سارّاً للناس. الصغير فينا والكبير إذا كان مع يسوع، إذا عرف خبر قيامته، يصبح عظيماً لأنه يستطيع أن يبشّر بالتعزية الكبرى التي هي القيامة من بين الأموات. أساس بشارتنا إذاً القيامة.

عيّدنا بالأمس لقيامة الرب، وهذا التعييد يبقى أسبوعاً كاملاً لأن هذا الأسبوع هو كيوم واحد نقيم فيه الخدمة نفسها (الإنجيل والرسالة يتغيّران)، ونردد ترداداً مستمراً وقوياً المسيح قام. اليوم أمامنا صورة المبشّر يوحنا المعمدان الذي أتى لابساً لباساً صحراوياً، لباساً من وبر الإبل، وكان متنسكاً، «يأكل جراداً وعسلاً برّياً». هكذا حُضّر لكي لا يكون إلا للرب. الصورة التي أتمثّل بها أنا كخادم للرب هي صورة يوحنا. همّي يجب أن لا يكون أكلي وشربي ولباسي، بل أن أبشّر وأهيّء الطريق للمسيح. إذا سُئلت من أنا علي أن لا أفتخر بمجد عائلتي بل أن أقول أنا لا أريد أن يراني أحد بل أن يسمع الصوت الذي فيَّ، الذي هو صوت الرب الذي أشاءه أن يكون في أعماقي. عندما سُئل يوحنا من أنت؟ المسيح؟ إيليا؟ النبي؟ قال «أنا صوت صارخ في البرية أعدّوا طريق الرب اجعلوا طرقه مستقيمة». يوحنا أتى لكي يهيء الطريق، لكي يمهّد الطريق أمام كل إنسان يسعى إلى الرب، وعندما سُئل «أنت تعمِّد» قال «نعم أنا أعمد بمعمودية التوبة»، أنا جئت إليكم لأحثّكم على التوبة، على الندم، لأنكم إذا أردتم أن يسكن الله فيكم وكانت الخطيئة في داخلكم فالله لا يساكن الخطيئة، وإذا جعلتم للخطيئة مكاناً في قلبكم فهذا يعني أنكم جعلتم الرب خارجاً. أنا أتيت إليكم لكي أغسلكم من خطاياكم، لكي تعترفوا بها وتندموا عليها، لكي تنقّوا نفوسكم، لكي تغسلوا قلوبكم حتى إذا أتى الرب يجد قلوبكم نظيفة ويرتاح فيها.

صورة يوحنا تعلّمني، وتعلّم كل إنسان عُمّد باسم الرب يسوع وباسم الثالوث، التواضع لأن المبشّر أو المعلّم رسالته التعليم. التجربة الكبيرة عند كل معلّم أن يُظهر نفسه فيضيع التعليم في هذا الظهور الخارجي. يوحنا أُعطي لنا اليوم، بعد أن قام المسيح، صورةً للكارز

بالكلمة، للمبشّر بالقيامة، وللمعلّم. يوحنا يعلّمنا أن لا وجود لنا إلا بكلمة الله. أنا موجود لأن الله أعطاني أن أبشّر بكلمته وبالقيامة. يحذرني أن لا أظهر نفسي كي لا يراني البشر عوض أن يروا الله. يجب على الكاهن، والراهب، وكل مسيحي أُعطي أن يكون رسولاً لكي ينقل تعليم المرسل إلى الناس أن لا يشوّش نقاء الكلمة وطهارة التبشير. كم من الناس يتباهون بما قالوا وبما فعلوا ويخفون الله في مكانٍ ما، يصبحون أصناماً لنفوسهم، يمجّدون ذواتهم؟

قال بعض المفسدين ليوحنا: يا معلّم، هوذا الذي كان معك في عبر الأردن أي يسوع الذي أنت قد شهدت له، يعمّد، والجميع يأتون إليه. أجابهم بتواضع كبير وبلطف: «لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أُعطي له من السماء». الله أعطاني وزنتي، موهبتي، وأنا راضٍ بها لأن الله منحني إياها، ولا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أُعطي له من السماء. يسوع هو ابن الله وأنا «لست بمستحق أن أحلّ سيور حذائه» (يو ١:٢٧). شبّه يوحنا نفسه بالعبد الذي لا يستحق أن يحل حذاء سيده. لم يبرز نفسه بل أراد إبراز من يبشر به. والأجمل قوله ان «فرحي قد تم»، رأيت المسيح وصرت في الفرح الكامل. يكفيني أني أعرف يسوع وأن أعرّف الناس به، وقد أتى يسوع لذا «ينبغي أن ذلك يزيد وإني أنا أنقص». ما أجملها صورة للمؤمن، للمتواضع، وأقول لكم، ان الله ينعم على محبّيه أضعاف ما يتمنون.

يعلّمنا يوحنا ان على من أراد التبشير أن يعطي ثماراً، لأن الشجرة التي لا تعطي أثماراً تُقطع، ولكن أنتم الذين بالمسيح تثمرون.

يوحنا صورةٌ للتواضع ومثالٌ، وعلى المؤمن أن يكون حذراً وأن يصلّي باستمرار طالباً رحمة الله لئلا يتكبّر لأن الكبرياء أصل كل الشرور وكل المساوئ. أما المتواضع فالله يسكن قلبه وهو يختفي لكي يظهر يسوع. وهو دينونة لكل إنسان، للمطران، للكاهن، للشماس، للقارئ، للمرتل، للمؤمن ولكل إنسان لأن علينا جميعاً أن نبشِّر بالمحبة المضحيّة. يعرفونكم أنكم تلاميذ يسوع لأنكم تحبّون، لأنكم تغفرون، لأنكم تسامحون، لأنكم لا تحقدون ولا تحملون مساوئ في قلوبكم، ولأنكم تصلّون. أنا فرحي اليوم كبير جداً بكم لأنكم ترتلون ولا تضجرون من الصلاة والحديث مع يسوع.

يا أحبة، أنتم لا تتمون بالله ولا تفرحون هذا الفرح الكبير إلا إذ أبقيتم يسوع في قلوبكم، وبقدر ما يكبر يسوع أنتم في الفرح. يسوع واقف على باب قلبكم يقرع فإن فتحتم له قلبكم أنا على يقين كلي أن فرحكم سيكون عظيماً، ويسوع يعزّيكم حتى في الآلام. هذه الجماعة التي هي أنتم، الكنيسة التي تصلّي وتسبّح الله، هي تخلّص كل بيت، وتخلّص الوطن. عندما سُجن بطرس صلّى الشعب بحرارة فانفتحت الأبواب. هل تصدّقون أن الصلاة تصنع العجائب؟ إن لم يصدّق أحدنا صلاته، إن لم يصدّق ان يسوع يسمعه فهو ما زال بعيداً عن الإيمان العميق والتواضع.

يوحنا معلّمنا ومثالنا. مثال الوداعة والتواضع والانسحاق والاختفاء الكلي من أجل إظهار المسيح. والتواضع لا يحصل إلا بالموت مع المسيح والقيامة معه. عندها تملأ المحبة كيانك لأن المسيح يسكن قلبك وتصبح قادراً على محبة الجميع، حتى من يؤذيك أو يكرهك. القيامة تعلّمني أن أحب الذين حولي بدءاً من البيت والعائلة. فالعائلة هي أساس، هي الكنيسة. بولس في رسائله كان يقول أكتب إلى فلان والكنيسة التي في بيته. نحن نتعلّم الكنيسة في البيت، وإذا كان البيت مزعزعاً تتزعزع الكنيسة. أما إذا بقي مؤمنون يبشرون تصبح العائلات مقدسة.

إحرصوا على استقبال الله وقبول كلمته، الله تحت رحمتكم لكنه يقول إذا أخذتموني تحت رحمتكم أنا آخذكم تحت رحمتي. هذا الذي ولد في مغارة وُصلب وعُذب كان تحت رحمتنا. يسوع يقول لنا أنا تحت رحمتكم حتى أباركم وأرتاح معكم. ويوحنا هو الصورة التي علينا أن نتبعها لنظهر يسوع. ليس كل من قال أو يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات. ولا يكفي أن نتكلّم باللاهوت لأننا قد نتكلم بالعظائم ونحن لا نؤمن. ليعطنا الرب نعمة التواضع حتى نفهم كلام يسوع ونستطيع نقله للآخرين. آمين.